ألصبيّة والقبّــرة

يعقوب أفرام منصور

إعتادت فتاة في ربيعها السادس عشر ، سمراء ، وطفاء ، تمرية الشَعر ، أن تجلس على صخرة في ظل أيكة كل يوم ساعات من النهار ردحًا ، في مرج زاهٍ ، حيث ساقية مؤدّية إلى رحى . فدوّنت هذه السطور في يوم بهي من نيسان البهيج :-

أهوى الجلوسَ في وحدة وسكينة
عند الأيكة قرب الطاحونة
أنتظر وأرقب حتى أبُصرَ
في السماء تحليق القبّرَة
أسمعها منشدة وهي تطير
نشيداً يعرفه كلّ خبير
أللّه لقّنها إياه شيئًا فشيًا
والآن ها هي تتلوه تامًا شجيًا
تمضي صُعُداً نحو العلاء
حتى تداني عنانَ السماء
أسمع تغريدها العذبَ الحبيب
حتى لو عن بصري تغيب
يقينًا ، تلقى القبّرة السمراء
جمالاً ما في القبّة الزرقاء
تسعى إليه جذلى بجناحها
إذ تغمر عرضَ الفضا بصداحها
تمنيتُ لو أنّ القبّرة أنبأتني
سرَّ عذوبة صوتها إذ تغنّي
لِمَ ترتفعَ شاهقًا حين تحلّق ؟
مَاذا تسمع ثمّة ، إلى ماذا تحدّق ؟
ليتها أعلمتني ، ليتها أخبرتني
ما وراءَ هاتيك الأنهار والجبال
ما بُعيدَ هاتيك الأشجار والتلال .

القبّرة : عصفورة من فصيلة القُـبّريات ، دائمة التغريد ، تفتش عن غذائها في الحقول وعلى الطرق.
ألأيكة : الشجرة الكبيرة الملتفة .